أطوّف بالأباطح كل يوم مخافة أن يشرّد بى حكيم[1]

ويقال شرد بهم أى نكّل بهم أى اجعلهم عظة لمن وراءهم وعبرة (فَانبِذْ اليهم) أى الق إليهم نقضك العهد لتكون أنت وهم فى العلم بالنقض سواء (ولا تحسبنّ الذين كفروا سَبقوا) أى ما توانم ابتدأ فقال (إنَّهُم لا يُعْجِزون وأَعِدُّوا لهم ما استَطَعْتُمْ من قُوَّةٍ) أى من سلاح (وإن جَنَحُوا لِلسَّلْم) أى مالوا (لولا كتابٌ من اللهِ سَبَقَ) أى قضاء سبق أنه ستحل لكم الغنائم (والذين كفروا بعضُهُمْ أولياءُ بعْضٍ إلاَّ تفعلوه تكُنْ فِتنةٌ فى الأرضِ وفسادٌ كبيرٌ) يريد هذه الموالاة أن يكون المؤمنون أولياء المؤمنين، والمهاجرون أولياء الانصار بعضهم من بعض. والكافرون أولياء الكافرين إن لم يكن هـذا كذا كانت فتنة فى الأرض وفساد (وأُولُوا الأرحامِ) الواحد ذو، من غير لفظه، وهو وذو واحد

غريب سورة التوبة ومشكلها

(براءة مِنَ اللهِ ورسُولِهِ) أى تبرؤا من الله ورسوله إلى مَن كان له عهد من المشركين من ذلك العهد (فَسِيحُوا فى الأرضِ أربعةَ أشْهُرٍ) أى اذهبوا آمنين أربعة أشهر مَن كانت مدة عهده إلى أكثر من أربعة أشهر أو أقل فان أجله أربعة أشهر (وأذانٌ من الله ورسوله) أى إعلام ومنه أذان الصلاة إنما هو إعلام بها، يقال آذنتهم إيذانا فأذنوا إذنا والأذان اسم مبنى منه. (قال أبو محمد) فى المشكل: الإل هو الله سبحانه

(١) هذا البيت لم يذكر فى لسان العرب قائله. وحكيم رجل من بنى سليم

فكأنه قال لا يرقبون فى مؤمن الله ولا ذمة فى القريب الإل العهد ويقال القرابة ويقال الله ، والذمة العهد ومنه جبرائل فى قراءة من شدد اللام ، ويقال للرحم إل كما اشتق لها الرحم من الرحمن وقال حسان

لَعَمْرُكَ إنَّ إلَّكَ فى قُرَيْشٍ كَإلِّ السَّقْبِ من رأل النَّعَام (١)

أى رحمك فيهم وقربك منهم. ومن ذهب بالإل فى قوله (لا يرقبون فى مؤمن إلا) إلى الرحم فهو وجه حسن كما قال الشاعر

دَعَوْا رَحِمًا فينا ولا يَرْقُبُونَها وصَدَّتْ بأيْدِيها النساءُ عَنِ الدَّمِ

يريد أن المشركين لم يكونوا يرقبون فى قراباتهم من المسلمين رحما وقد قال الله لرسوله صلى الله عليه وسلم ـ قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى ـ أى إلا أن تودونى فى قرابتى منكم . وكانت لرسول الله ﷺ ولادات كثيرة فى بطون قريش قال تعالى ـ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم ـ وقال ابن عباس قالت قريش يسألنا أن نوده بالقرابة وهو يشتم آلهتنا ويعيبها ، فأنزل الله عز وجل ـ قل ما سألتكم من أجر فهو لكم ـ ويقال للعهد إل لأنه بالله يكون والإل أيضا العهد وقوله (ولا ذِمةً) الذمة العهد والعهد الميثاق ومنه قول الله لابراهيم عليه السلام ـ إنى جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين ـ أى لا ينال ماوعدتك من الامامة الظالمين من ذريتك ، والعهد من الله الميثاق. ﴿غ﴾ (كُلَّ مَرْصَدٍ) أى كل طريق يرصدونكم به و (الحجِّ الاكْبرِ) يوم النحر

(١) رأل النعام : ولده .

وقال بعضهم يوم عرفة وكانوا يسمون العمرة الحج الأصغر (وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا) أى لم يعينوه والظهير العوين (فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ) يريد وإن كانت أكثر من أربعة أشهر هؤلاء بنو ضمرة خاصة (فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ) واحدها المحرم (فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ) يعنى من لم يكن له عهد (وَخُذُوهُمْ) أى أسروهم ، والأسير الأخيذ (وَاحْصُرُوهُمْ) أى احبسوهم ، والحصر الحبس (وَلِيجَةً) الوليجة البطانة من غير المسلمين وأصله من الولوج وهو أن يتخذ الرجل من المسلمين دخيلا من المشركين وخليطا وودا (إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ) أى قذر (وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً) أى فقرا بتركهم الحمل إليكم للتجارات (فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) (حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ) يقال أعطاه عن يد وعن ظهر يد إذا أعطاه مبتدئا غير مكاف (يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ) أى يشبهون يريد أن من كان فى عصر النبى ﷺ من اليهود والنصارى ويقولون ما قاله أولوهم (قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ) أى من أين يصرفون عن الحق ، والافك الكذب لأنه كلام قلب عن الحق . وأصله من أفكت الرجل إذا صرفته عن رأى كان عليه ومنه قيل لمدائن قوم لوط المؤتفكات لانقلابها . قال الشاعر هو ابن أذينة :

إن تكُ عنْ أحسَنِ الصَّنِيعَةِ مأ فُوكا فى آخرينَ قد أُفِكُوا

أى إن تك عن أحسن الصنيعة معدولا وكذلك الفجور هو الميل عن الحق إلى الباطل . ويقال للكذب أيضا فجور لأنه ميل عن الصدق .

والافتراء الاختلاق قال ـ ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب ـ أى يختلقونه ومنه قيل افترى فلان على فلان إذا قذفه بما ليس فيه أو قذف أبويه (اتَّخذُوا أحبارهم ورُهبانَهُم أرْبابًا مِنْ دُون اللهِ) يريد أنهم كانوا يحلون لهم الشىء فيستحلونه ويحرمون عليهم الشىء فيحرمونه (إنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عندَ اللهِ اثنى عشَر شهراً فى كِتابِ اللهِ يومَ خلَقَ السّمواتِ والأرضَ منها أربعةٌ حُرُمٌ) ثم قال (ذلك الدين القيمُ) أى ذلك الحساب الصحيح والعدد المستوى * والاربعة الحرم : ذو القعدة . وذو الحجة والمحرم . ورجب . وقال قوم هى الأربعة الأشهر التى أجلها رسول الله ﷺ المشركين فقال ـ فسيحوا فى الأرض أربعة أشهر ـ وهى شوال ، وذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، واحتجوا بقوله عز وجل ـ فاذا انسلَخَ الأشهرُ الحرُمُ فاقتلوا المشركينَ حيثُ وجَدْتُمُوهم ـ وأنكروا أن يكون رجب منها وكانت العرب تعظم رجبا وتسميه مَنْصِلَ الأسنَّة ومنصل الأل لأنهم كانوا ينزعون الأسنة فيه والأل وهى الحراب ، ويسمونه شهر الله الاصم ، لأنهم كانوا لايحاربون فيه لأنه محرم فلا يسمع فيه تداعى القبائل وقعقعة السلاح قال الاعشى

تداركه فى مَنْصِلِ الألِّ بعد ما ... مضى غير دأداء وقد كاد يذهب [1]

وقال حميد بن ثور يصف إبلا

رعيْنَ المِرارَ الجُونَ من كل مذْنَبٍ

(١) فى لسان العرب : يعطب .

شُهورَ جُمادى كلَّها والمُحرَّما

يريد بالمحرم رجبا وأما قول الله عز وجل ـ فإذا انسلخ الأشهُرُ الحُرُم ـ فانما عنى الثلاثة منها لانها متوالية ، ولانه جعل منها شوالا وأخرج رجبا. ويقال إن الأربعة أشهر التى أجلها رسول الله ﷺ للمشركين من عشر ذى الحجة الى عشر من ربيع الآخر وسماها حُرُما لأنه حرّم فيها قتالهم وقتلهم والنسيء نسء الشهور وهو تأخيرها. وكانوا يؤخرون تحريم المحرم منه سنة ويحرمون غيره مكانه لحاجتهم إلى القتال فيه ثم يردونه إلى التحريم فى سنة أخرى كأنهم يستنسئون ذلك ويستعرضونه (ليُواطِئُوا) أى ليوافقوا (عِدَّةَ ماحرّمَ اللهُ) يقول اذا حرموا من الشهور عدة الشهور المحرمة لم يبالوا أن يُحِلُّوا الحرام ويُحرِّموا الحلالَ (إثَّاقلتُمْ إلى الأرْضِ) أى تثاقلتم فادغم التاء فى الثاء وأحدث ألفاً ليسكن ما بعدها وأراد قعدتم ولم تخرجوا وركنتم إلى المقام (فأنْزَلَ اللهُ سكِينَتَهُ) السكينة السكون والطمأنينة (عليه) قال قوم على أبى بكر الصديق رضوان الله عليه ، واحتجوا بأن رسول الله ﷺ كان مطمئنا يقول لصاحبه ـ لاتحزن إن الله معنا ـ والمذعور صاحبه فأنزل الله سبحانه عليه السكينة (وأيَّدَهُ) أى قواه بملائكته قال الزهرى الغار فى جبل يسمى ثوراً ومكثا فيه ثلاثة أيام . (انْفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً) أى لينفر منكم من كان مخفا ومثقلا . والمخف يجوز أن يكون الخفيف الحال ويكون الخفيف الظهر من العيال . والمثقل يجوز أن يكون الغنى ويجوز أن يكون الكثير العيال ويجوز أن يكون المعنى

شبابا وشيوخا والله أعلم بما أراد . وقد ذهب المفسرون إلى نحو ما ذهبنا اليه (الشُّقَّةُ) السفر (مازادُوكُم إلاَّ خَبَالاً) أى شرا والخبالُ والخَبْلُ الفساد (ولأوْضَعوا خِلالَكم) من الوضع وهو سرعة السير يقال وضع البعير وأوضعته إيضاعا والوجيف مثله (خِلالَكُم) فيما بينكم (يَبْغُونَكُم الفِتنَةَ) يعنى الشرك (وفيكُم سَمّاعُونَ لهُم) يعنى المنافقين يستمعون مايقولون ويقبلونه (ان تُصِبْكَ حسنَةٌ تسؤْهُم)أى ظفر(وإن تصبْكَ مُصِيبَةٌ) أى نكبة (يَفرَحُوا بها وَيقولوا قَدأخَذْنَا أمرَنا مِنْ قَبلُ) أى أخذنا الوثيقة فلم نخرج (إحْدَى الحُسْنَيَيْن)الشهادة والأخرى الغنيمة (أو مُدَّخَلاً) أى مدخلا يدخلونه (لَوَلَّوْا إلَيْهِ) أى لرجعوا عنك إليه (وهم يَجْمَحُونَ) أى يسرعون روغانا عنك ومنه قيل فرس جموح إذا ذهب فى عدوه فلم يثنه شىء (وَمِنهُم مَنْ يَلْمِزُكَ فى الصّدَقاتِ) أى يعيبك ويطعن عليك يقال همزت فلانا ولمزته أى اغتبته وعبته ومنه قوله تعالى ـ ويل لكل همزة لمزة ـ (إنَّمَا الصّدَقاتُ لِلفُقَراء) وهم ضعفاء الأحوال الذين لهم البلغة من العيش (وَالمسَاكِينِ) الذين ليس لهم شىء قال قتادة الفقراء[1] الذى به زمانة والمسكين[2] الصحيح المحتاج (والعامِلِينَ عَلَيْها) أى أعمال[3] الصدقة وهم السعاة (والمُؤَلَّفَةِ قلُوبُهمْ) الذين كان النبى صلى الله عليه وسلم يتألفهم على الاسلام (وفى الرِّقَاب) أى المكاتبين أراد فك الرقاب

---

(١) الضمير راجع اليه باعتبار مفرده (٢) كذا بالأصل . واراد به مفرد المساكين الذى هو ص القرآن الكريم (٣) تفسير للضمير فى عليها والمراد العالمين فى أعمال الصدقة

من الرق (والغَارِمِينَ) من عليه الدين ولا يجد القضاء وأصل الغرم الخسران ومنه قيل فى الرهن : له غنمه وعليه غرمه . أى له ربحه وعليه خسرانه وهلاكه فكأن الغارم هو الذى خسر ماله ؛ والخسران النقصان ويكون الهلاك قال الله عز وجل ـ الذين خسروا أنفسهم وأهليهم ـ وقد يشتق من الغرم اسم الهلاك خاصة ، من ذلك قوله تعالى ـ إن عذابها كان غراماً ـ أى هلاكا ، ومنه يقال : فلان مغرم بالنساء أى مهلك بهن ويقال ما أشد غرامه واغرامه بالنساء أى هلاكه بهن (وَيَقُولُونَ هو أُذُنٌ) أى يقبل كل ما قيل له (قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ) أى يقبل منكم ما تقولون له خلا لكم ؛ إن كان ذلك كما تقولون ولكنه (يؤمِنُ باللهِ ويؤمِنُ للمؤمنين) أى يصدق الله ويصدق المؤمنين . وكان المنافقون يقولون : إن محمداً أُذُنٌ فقولوا ما شئتم فانا متى أتيناه واعتذرنا عنده صدقنا فأنزل الله عز وجل قل ـ أُذُنُ خَيْرٍ لكم ـ إن كان الأمر كما تذكرون ولكنه إنما يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين أى يصدق الله ويصدق المؤمنين لا أنتم والكلام استعارة والاصل أن الاذن هى السامعة فقيل لكل من صدق بكل خير يسمعه أذن ومنه يقال أذنتك الامر فأذنت كما تقول أعلمتك فعلمت . إنما هو أوقعته فى أذنك ومنه قالت الشعراء

* آذنتنا ببينها أسماء * (١)

ومنه الاذانُ إنما هو : إعلام الناس بالصلاة وقوله ـ وأذان من الله ـ

---

(١) هذا صدر بيت ابتداء معلقة الحارث بن حلزة وعجزه : رب ثاو يمل منه الثواء

أى إعلام (وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ) من الاستعارة يريدون يمسكون أيديهم عن العطية وأصل هذا أن المعطى بيده يبسطها بالعطاء فقيل لكل من بخل ومنع قد قبض يده . ومنه قول اليهود ـ يد الله مغلولة ـ أى ممسكة ﴿ غ ﴾ (نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ) أى تركوا ما أمرهم الله به فتركهم (فاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ) أى بنصيبهم من الآخرة فى الدنيا (والمؤْتَفِكَاتُ) مدائن قوم لوط لانها ائتفكت أى انقلبت (جَاهِدِ الْكُفَّارَ) بالسيف (وَالمُنَافِقِينَ) بالقول الغليظ وقوله (وما نقموا) منهم (إلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ ورَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ) أى ليس ينقمون شيئا ولا يعرفون من الله تبارك وتعالى الا الصنع الجميل وهذا كقول الشاعر[1]

مانَقَمَ النَّاسُ منْ أُمَيَّةَ إلاَّ ... أَنَّهُمْ يَحْلُمُونَ إنْ غَضِبُوا
وأَنَّهم سادةُ المُلُوكِ فَلَا ... تَصْلُحُ إلاَّ عليْهِمُ العَرَبُ

وهذا ليس بنقم وإنما أراد أن الناس لاينقمون عليهم شيئا وهو كقول النابغة :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ... بِهِنَّ فُلُولٌ من قِرَاعِ الكَتَائِبِ

أى ليس فيهم عيب (الذِينَ يَلْمِزُونَ المطَّوِّعِينَ) أى يعيبون المطوعين بالصدقة (والذِينَ لا يَجِدُونَ الاَّ جُهْدَهُمْ) أى طاقتهم . والجهد الطاقة والجهد المشقة يقال قد فعل ذلك بجهد أى بمشقة (سَخِرَ اللهُ مِنهم) أى

---

(١) هو عبيد الله بن قيس الرقيات . وفى شواهد الكشاف : ما نقمو من أمية

جازاهم جزاء السخرية (فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ) واحدهم خالف ويقال لمن يخلف الرجل فى ماله وبيته (استأذنك أولوا الطَّوْلِ مِنْهُم) أى ذووا الغنى والسعة (رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ) يقال النساء ويقال هم خساس الناس وأدنياؤهم ، يقال فلان خالفة أهله ، إذا كان دونهم (الْمُعَذِّرُونَ) هم الذين لايجدون إنما يعرضون أن يفعلوه يقال عذرت فى الأمر اذا قصرت وأعذرت أى جددت ويقال المعذرون هم المعتذرون أدغمت التاء فى الذال ومن قرأ ـ الْمُعْذِرُونَ ـ فانه من أعذرت فى الأمر (من يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا) أى غرما وخسرانا (وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ)دوائر الزمان بالمكروه ودوائر الزمان صروفه التى تأتى مرة بالخير ومرة بالشر (وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ) يقبلها ومنه ـ خذ العفو ـ أى اقبله (سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ) بالقتل والأسر . وقال الحسن رحمه الله عذاب الدنيا وعذاب القبر (وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ) دعاؤه وكذلك قوله جل وعز (وَصَلِّ عَلَيْهِمْ) أى ادع لهم (انَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ) أى دعاءك تثبيت لهم وطمأنينة (وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ) أى مؤخرون على أمره (مَسْجِداً ضِرَاراً) أى مضارة (وَإِرْصَاداً)ترقبا بالعداوة يقال رصدته بالمكان أرصده أى ترقبته وأرصدت له فى العداوة . وقال أبو زيد رصدته بالخير وغيره أرصده رصدا وأنا راصده وأرصدت له بالخير وغيره إرصادا وأنا مرصد له وقال ابن الاعرابى : أرصدت له بالخير والشر جميعا بالالف (على شفا جُرُفٍ) هَارٍ والجرف ما يتجرف بالسيول من الاودية والهائر الساقط ومنه يقال تهور البناء اذا سقط وانهار السائحون)

الصائمون . وأصل السائح الذاهب فى الارض ومنه يقال ماء سائح وسيح اذا جرى وذهب . والسائح فى الارض ممتنع من الشهوات فسمى الصائم به لامساكه بصومه عن المطعم والمشرب والنكاح (الأوّاه) المتأوه حزنا وخوفا . قال المثقب العبدى — وذكر ناقته

اذاماقمتُ أُرْحِلها (١) بليلٍ تأوّه آهةَ الرجل الحزين

(تزيغ قلوب فريقٍ منهم) أى تعدل وتميل (حتى اذاضاقتْ عليهم الأرضُ بما رحُبَتْ) اى بما اتسعت يريد ضاقت عليهم مع سعتها (وظنوا أنْ لامَلْجأ من الله إلاّ إليه)أى استيقنوا أن لاينجيهم من الله ومن عذابه غيره (ولا مخمصةٌ)المخمصة المجاعة وهو الخمص (لينفروا كافّة) أى جميعاً (فلولا نَفَر مِنْ كل فِرْقَةٍ) أى هلاّ نفر (فزادتْهم رِجْسًا إلى رِجْسِهم) أى كفراً الى كفرهم (عزيزٌ عليه ماعنِتُّم) أى شديد عليه ما اعنتكم وصدكم

(تمت السبع الطوال والحمد لله رب العالمين)

قال أبو محمد رحمه الله فى صدر الغريب : والسبع الطوال آخرها براءة وكانوا يرون الانفال وبراءة سورة واحدة لانهما جميعا نزلتا فى مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك لم يفصلوا بينهما قال والسور التى تعرف بالمئين هى ماوَلِىَ السبع الطوال سميت بمئين لأن كل سورة منها تزيد على مائة أو تقاربها . والمثانى ماوَلِىَ المئين من السور التى دون المائة

(١) فى شواهد الكشاف : إذا ماقمت ارحله . وهوموافق لقوله : تأوه